

مقياس: علم النفس البيولوجي والوتيرة المدرسية

كلية العلوم الاجتماعية

جامعة أم البواقي

السداسي الثاني للموسم الجامعي 2020/ 2021

د. عامر نورة

ماستر 1 علم النفس المدرسي.

المحاضرة الأولى:

إن مصطلح الوتيرة المدرسية أو التعليمية يبدو غامضا من الوهلة الاولى، لكننا سنسعى الى تبسيط مفاهيمه وابعاده رويدا رويدا، ونميز بين الوتيرة التعليمية والوتيرة التعلمية، ولعل سبب الغموض ذلك هو حداثة المصطلحات، ونقص التنظير فيها.

لقد شغل مفهوم الوتيرة التعليمية والتعلمية وكلاهما شامل لمفهوم الوتيرة المدرسية أذهان عديد الباحثين، الذين رأوا بأهمية ذلك على مردود المتعلم ونوعيته، وظهرت تيارات علمية وأبحاث ذات الاهتمام البيولوجي و الفيسيولوجي لدعم أكثر فأكثر طرق التعليم الناجعة والفعالة وهنا برز مفهوم الكرونو- بيولوجيا، ولم يتوان المختصون في علم النفس ليدلو دلوهم في ذات السياق في اشارة الى ضرورة مراعاة العوامل النفسية وأثرها على الوتيرة التعليمية فظهرت الكرونو- سيكولوجيا وكان هذا مع بداية الثمانينات: أين اهتم المختصون بدراسة التغيرات اليومية لأداءات التلاميذ ومن ابرز هؤلاء تاسي François Testu (راجع كتابه بعنوان: Rythmes de vie et Rythmes scolaires) الذي أشار أن الدراسات المتعلقة بالوقت البيولوجي عند الطفل نادرة بينما تلك المتعلقة بالوقت النفسي غير موجودة تماما.

ملح تاريخي لبروز مفهوم الوتيرة المدرسية (التعليمية):

كان ابنجهاوس في 1897 قد أجرى دراسات وبحوث على عينة من التلاميذ الذي تتراوح أعمارهم بين العشر والثلاثة عشر سنة (10-13 سنة)، ليستدل بها على وجود تقلبات يومية و أسبوعية للأداءات السلوكية للتلاميذ في وضعيات تعلمية مختلفة، ثم توالت بحوث أخرى لكل من (Lairds 1925); (Gates 1916); (Winch 1911)، وخُلصت الى أن الملح اليومي (الريتم) لأداءات المتدرسين يتراوح بين الارتفاع والانخفاض من حيث الأداء.

هذه الفكرة (ريتم الاداء) أشار اليها (Bourdon 1926) وسماها حينها بالطاقة الذهنية؛ واعتبر أن هذه الطاقة تتطور تتطور أثناء النهار صعودا ونزولا؛ كما وأنها تتزايد بدءا من الاستيقاظ حتى تبلغ الحد الاقصى حوالي الساعة العاشرة (10.00) الى الساعة الحادي عشر (11.00)، ثم يبدأ الهبوط عند الظهر (Leconte, 2008, Op.29).

ومن جهة أخرى بدأ الاهتمام من ذوي اختصاص البيولوجيا والطب بأثر العوامل البيولوجية على الأداء وخصوصاً تأثيرات التعب والإرهاق، النوم واليقظة، وتوصلت أبحاث كل من "دوداي ودوبراي" الى وجود تناغم وانسجام مرتبط باضطرابات الأداء المختلفة، وأن التوافق النفسي البيولوجي للتلاميذ تحدث فيه تغيرات تتميز بالثبات النسبي والتغير المرحلي عبر وضعيات التعلم.

مفهوم الوتيرة المدرسية (التعليمية والتعلمية):

الوتيرة لغة: وحسب معجم اللغة العربية المعاصرة

الوتيرة (مفرد) وجمعها (وتائر): وهي المداومة على الشيء وملازمته وهو مأخوذ من التواتر وهو التتابع،

والوتيرة: هي الطريقة مُطْرَدَة، فنقول استمر في عمله على هذه الوتيرة، ونقول خطاب على وتيرة واحدة.

ويذكر الامام محمد الغزالي¹ 1983 أن القرآن الكريم قد نزل ضمن وتيرة زمنية منسجمة مع وتيرة تعلم الانسان وقناعاته، كما وأن نزول السور القرآنية بطريقة تسلسلية متعاقبة ليراعي المولى عز وجل استيعاب الانسان لها؛ حيث كانت البداية بما يتعلق بالمعارف الاعتقادية، ثم الآداب الاجتماعية، ثم القوانين المدنية وبعدها الوظائف الفردية، وفي هذا الترتيب تناغم لتقبل الناس وضمن ايمانهم وتأكيد قناعتهم.

والوتيرة حسب ليكونت (2010) هي حدث يتميز ضمن دورة معينة لها دورية الوظائف البيولوجية والنفسية.

مفهوم الوتيرة التعليمية:

اختلف المختصون في تعريفها كلٌ حسب تخصصه، منهم من يحسبها تطور تعلم التلميذ عبر مراحل مختلفة وفق ما يتلقاه من معارف في وضعيات تعليمية مختلفة، في حين يراها (الوتيرة ت) آخرون بأنها الوتيرة اليومية المتبعة من قبل المدارس فيما يخص التخطيط لليوم الدراسي وتحديد أزمنا الأنشطة المراد تدريسها خلال اليوم كما تشمل أوقات الراحة؛ أي هي التوزيع الذي تحدده المدارس بدءاً من تاريخ انطلاق الدراسة الى غاية نهاية الموسم الدراسي شاملة بذلك العطل الموسمية وطبعاً تتخللها البرامج الدراسية المفروض تنفيذها خلال تلك المدة.

غير أن فريقاً آخر يرى بأن الوتيرة هي نظام فريد (خاص)، يخضع له أي فرد سواء كان طفلاً، مراهقاً، أو راشداً وتخص التقلبات والتغيرات المرحلية في الانظمة الفيسيولوجية والنفسية خلال وضعيات معينة.

¹ محمد الغزالي (1917- 1996) عالم ومفكر اسلامي مصري، وهو أحد دعاة الفكر الاسلامي في العصر الحديث، عُرف عنه معارضته للغلو والتشدد في الدين، كما عرفت عنه معارضته لسياسة الدول العربية، من مؤلفاته: المحاور الخمسة للقرآن الكريم، المرأة في الإسلام، تأملات في الدين والحياة، قذائف الحق، كفاح الدين....

وقبل تقديم موسع لمفهوم الوتيرة التعليمية نعرض أولا على شرح الزمن المدرسي.

1. الزمن المدرسي: يتمثل في الأطر الزمنية التي تنظم العمل المدرسي والتي تكون محددة مؤسساتيا وتشريعيا، تتضمن هذه الأطر التوزيع النظامي للأيام والأسابيع وساعات العمل المدرسي، كما تتضمن التوزيع الزمني الذي يقوم به المعلم بالنسبة لأعمال التلاميذ وسير الدروس والتمارين والتقييمات.(تعوينات وأبركان، 1999).

بيداغوجيا الزمن المدرسي يتمحور حول الايقاع(الريتم) الذي تتم فيه عملية التعلم من قبل التلميذ(المتعلم)، ويعد تنظيم الزمن المدرسي عاملا مهما وأساسيا في التخطيط التربوي الذي يقوم عليه النهج أو السياسة التربوية؛ لأن تنظيمه واستعماله يحدد الظروف والشروط التي يحدث خلالها التعلم، وبالتالي تتجلى أهمية الزمن المدرسي من خلال ضبط استعمال جداول البرنامج اليومي الاسبوعي والشهري وكذا من خلال ملائمة ذلك الزمن لامكانيات وقدرات المتعلم.

وقد انشغل الباحثون كثيرا في تهيئة جداول التوقيت المدرسي من منظور كرونولوجي وبيولوجي وبيولوجي وبيولوجي، حيث تبين أن الوظائف الفيزيولوجية للطفل والراشد تخضع لتغيرات توتيرية(ايقاعية) مصدرها ساعة داخلية تُعدل يوميا حسب العوامل المحيطة بالفرد، وترى لويزة معروف(2008) أن النوم عامل مهم لسرعة ونوعية التعلم، وأن هناك أوقات في اليوم الدراسي للتلميذ تتواتر فيها آداءات التلميذ من حيث الانتباه، التكيف والتفاعل، واعتبرت معروف ان استراحة الظهر جد حساسة فيما يتعلق بالوتيرة اليومية. يكون خلالها الجسم أقل فاعلية وتتقلص فيها الاداءات وهي بذلك تشكل ملمح بيولوجي وسيكولوجي مهم وجب أخذها بعين الاعتبار في أي تفكير علمي أو بيداغوجي عند وضع وتنظيم الوقت المدرسي للتلميذ.

2. الوتيرة التعليمية Rythmes d'apprentissage

يقصد بوتيرة التعلم الوقت الضروري الذي يجري من خلاله فعل التعلم والذي لا يمكن التخفيض من حجمه خدمة لعملية التعلم، وتختلف هذه الوتائر من متعلم الى آخر حيث يرى(مونتانيير 1989 Montagner) أنه لا معنى لتنظيم الزمن الدراسي الا اذا ارتكز على دعامتين أساسيتين وهما:

- ✓ الوتيرة البيولوجية للانسان باعتبارها عاملا طبيعيا للتعلم.
- ✓ عدم تعارض هذه الوتيرة مع وتائر أخرى بما فيها الوتيرة الاجتماعية أي النسق الاجتماعي.

واعتبر مونتانيير أن سبب الفشل المدرسي أو انخفاض مردود التلميذ يعود الى المبالغة في الانشطة البيداغوجية في اليوم وسوء تسير المون المدرسي الذي لا يتناسب ولا يأخذ بعين الاعتبار الوتائر الأخرى (البيولوجية والنفسية والاجتماعية)، حيث أن أوقات القوة وأوقات الضعف أو الوتيرة السريع والوتيرة البطيئة مثل وتيرة القلب ووتيرة التنفس أيضا يأخذ بعين الاعتبار تغيرات الانتباه التي تتناوب دوريا خلال 24 ساعة، لذلك فأن التلاميذ(المتعلمين) لا يمكنهم أن يبقوا بنفس طاقة استيعابهم وتذكرهم وتركيزهم لوقت طويل(06 ساعات) كما لا

يمكنهم فعل أي شيء يطلب منهم في أي وقت وأية طريقة. وهنا نتساءل: هل الزمن المدرسي المحدد سالفًا وحاليًا (النظام القديم ونظام المقاربة بالكفاءات الحالي) يلائم قدرات التلاميذ ويواكب تعلمهم؟